الفصل الرابع

الدين والسياسة منذ عام ١٩٦٠

«توضح دعوى رومر ضد إيڤانز حكم القانون فى الولايات المتحدة، وهى قضية عام ١٩٩٦ التى أطاحت فيها المحكمة العليا بمحاولة ولاية كولورادو بمنع تشريع يضمن الحقوق المدنية للشواذ. وهى نهاية ربط القانون بأى معيار موضوعى أو قانون طبيعى، يستلزم أن يكون القانون الوضعى مسئولاً عنه».

تشارلز كولسون - «المسيحية اليوم»

«إنه من الخطأ والغباء إلقاء اللوم على الشواذ من الجنسين كسبب لتفكك الأسرة. . . يجب أيضًا احترام حقوقهم المدنية والإنسانية وكذا الدفاع عنها من أجل صحة وسلامة المجتمع»

جيم والليس - «سوجورنرز»

* نظرة عامة

يتناول هذا الفصل العلاقات بين الدين والسياسة منذ ستينيات القرن العشرين وحتى الآن، ويذكرنا عدد من القضايا المهمة خلال الستينيات وحتى أوائل التسعينيات بالتساؤلات التى تناولناها فى الفصل السابق.

- يوضح الصراع من أجل الحقوق المدنية للسود، أن حركة إلغاء العبودية لم تؤت بعد ثمارها كاملة.

- أثارت حرب ڤيتنام التساؤلات حول مفهوم الحروب العادلة وحدود الاستنكاف الضميرى. (يتناول الفصل السادس هذا الموضوع من وجهة نظر التعديل الأول للدستور).

- عودة المحافظين المسيحيين للاهتمام بالسياسة وظهور حركة «اليمين المسيحى الجديد» بسياساتها للأخلاقيات الفردية والخاصة، والتى انعكست فى حملات تطالب بالاعتدال فى معاقرة الخمر أو الامتناع عنها أو تحريمها.

- وفى الوقت نفسه، يربط ظهور الاهتمام الاجتماعى بين المسيحيين المحافظين هذه الحقبة بالتقدمية الاجتماعية العريضة التى تناولناها بالمناقشة فى الفصل الثالث. وتعكس التقدمية الاجتماعية المحافظة اعتبارات مماثلة لتلك التى عبرت عنها حركات سابقة من أجل الإصلاح الاجتماعى الشامل.

وكما كان الحال فى الفترة السابقة، يستمر تفاعل الدين والسياسة بطرق معقدة، فالدين يساعد فى تشكيل ما يطرح من المسائل السياسية وحلولها.

سوف نتناول أولاً عقد الستينيات الذى غير للأبد خبرة ونظرة الشعب الأمريكى للعالم الذى يعيشون فيه، ثم نبحث مواقف بعض جماعات الضغط الدينية فى واشنطن، وبعد هذا الأساس نفحص قضايا معينة مثل حركة الحقوق المدنية، وتطور حركة اليمين المسيحى الجديد، والتلفاز الدينى، والتقدمية الاجتماعية المسيحية المحافظة. ونسترشد ببعض الأسئلة الرئيسية خلال هذه الدراسة:

- ما هى الأحداث والاتجاهات المهمة لفترة الستينيات والتى أثرت فى السياسة والدين والثقافة الأمريكية بوجه عام؟
- ما هى الأنماط الرئيسية للجماعات الدينية التى تسعى جاهدة فى واشنطن منذ الستينيات وحتى الآن لتجعل قيمها تنعكس على السياسة العامة؟
- كيف تداخل كل من الدين والسياسة فى حركة الحقوق المدنية؟
- كيف انبثقت حركة اليمين المسيحى الجديد؟ وكيف تطورت مع مرور الوقت؟
- كيف يترجم المحافظون المسيحيون قيمهم الدينية إلى مواقف سياسية؟
- كيف تطور التلفاز المسيحى؟ وما هى دائرة اهتماماته السياسية؟

* عقد الستينيات

بعد فترة من الهدوء النسبى عقب الحرب العالمية الثانية، كانت فترة الستينيات عقداً شهد تغييرات جذرية، وما زالت أثار إعادة التنظيم الاجتماعى الذى ميز الستينيات قائمة فى سنوات نهاية القرن.

حركة الحقوق المدنية

على الرغم من طرح عدد من المحللين لقوائم مختلفة من التغييرات الاجتماعية المهمة، فهناك عدد منها يحظى بإجماعهم، أولها بالتأكيد حركة الحقوق المدنية، وهى الجهد المركز الذى بذله السود ومؤيدوهم للحصول على الحرية والمساواة للسود كما يكفلها لهم الدستور. لقد أخرجت هذه الحركة الأمة من سلبيتها وأحدثت تغييرات سياسية ودينية يستمر تراثها حتى اليوم. **كانت حركة الحقوق المدنية للسود، هى الأولى من سلسلة حركات مماثلة منذ الستينيات وخلال التسعينيات، طالب من خلالها الإسپان من أمريكا اللاتينية والسيدات والآسيويون وعمال الزراعة المهاجرون والشواذ وآخرون بحقوق تتمتع بها الأغلبية الثقافية. وشهدت السبعينيات والثمانينيات والتسعينيات استمرار الاتهامات بأن التغيير قد تعدى الحدود، أو لم يحقق ما يكفى؟ مع محاولات سياسية تقوم بها الجماعات الدينية والأفراد بهدف دفع التغيير قدمًا، أو كبح جماحه.**

الحرب فى جنوب شرق آسيا وإشكالية «الكنيسة الرسمية»

أصبحت حرب ڤيتنام قضية تبعث على الانقسام خلال النصف الثانى من العقد، فقد ألقت الجماعات الدينية بثقلها من خلال مكاتبها فى واشنطن لتأييد إحدى كفتى الخلاف. فاستشهد كل من المؤيدين والمناوئين بمبررات دينية تؤيد وجهات نظرهم، واعتقد الكثيرون أنهم إلى جانب الحق (الرب)، وعلى الرغم من عدم إعلان الكونجرس الحرب رسميًا، فقد تم تصعيدها بصدور أمر تنفيذى، خصوصًا عقب الهجوم المزعوم على السفن الأمريكية فى خليج تونكين فى عام ١٩٦٤. **عارض كثيرون الحرب لاعتقادهم فى عدم شرعيتها؛ لأنها لم تعلن، وتشكك آخرون فى نظرية «الدومينو» الأساسية التى ترى أنه لو وقعت ڤيتنام فى أيدى الشيوعيين فسوف**

تتبعها بالتأكيد سائر منطقة جنوب شرق آسيا، هذا بينما ارتآها آخرون كحرب الرجل الأبيض ضد الملونين، ألا وهم الآسيويون، وبدت أيضًا كحرب الرجل الأبيض يخوضها الجنود السود. وتشكك الناس فى الدوافع الاقتصادية المحتملة لرجال الصناعات الحربية. وعلى الرغم من وضوح المعارضة، وعنفها فى بعض الأحيان، إلا أنها لم تكن عامة، فقد أيدت نسبة كبيرة من الأمريكيين الحرب كوسيلة للإسراع بإسقاط الشيوعية الملحدة، وجعل العالم مكانا آمنًا للديمقراطية.

وإلى جانب التشكك فى الحرب، كان هناك عصيان من جانب بعض الشباب الذين ساورتهم الشكوك حول ما اعتقدوا أنه ثقافة عنصرية عسكرية مادية، تنحاز للصفوة ولا معنى لها. . وأصبحت الكنيسة الرسمية محور كل شىء يريدون تغييره جذريًا أو إلغاءه. إن الوعى المتزايد والتحرر من الأوهام بشأن ما بدا كفجوات واسعة بين ما يقال وما ينفذ وبين ما هو مثالى وما هو واقعى قد أثار الشك فى قدرة المؤسسات الاجتماعية والدينية والتعليمية والسياسية المتواجدة على سد هذه الفجوات. وبينما احتج بعض هؤلاء الشباب على الثقافة، انسحب آخرون وتقهقروا بعيدًا بقدر المستطاع عن الانخراط فى هذه الثقافة.

الاغتيالات والتشويه الأخلاقى

شهد هذا العقد أيضًا اغتيال ثلاثة زعماء معروفين يتمتعون بالاحترام والحب، هم جون كنيدى فى ١٩٦٣، وروبرت كنيدى ومارتن لوثركنج فى ١٩٦٨. ويستطيع معظم - إن لم يكن كل - من عاصر هذه الأحداث - ممن كانوا قد تعدوا سن المراهقة - تذكر لحظة تلقيهم نبأ إطلاق الرصاص على الرئيس، فقد حول التلفاز الحزن الفردى لوفاة كنيدى إلى حزن أمة بأكملها بطريقة غير مسبوقة.

بدلت «الأخلاقية الجديدة» أو «أخلاقيات الموقف» (من كتاب بنفس العنوان لجوزيف فليتشر) أسس صناعة القرار الأخلاقى عند العديد من الناس، وساعدت فى وضع الأساس لبعض الصراعات الدينية والسياسية التى استمرت حتى التسعينيات، وينص تعليم الأخلاقيات التقليدى على أنه هناك قوانين أخلاقية واضحة لا تهتز، يمكن تطبيقها فى جميع المواقف، وهناك أشياء خطأ وأخرى صائبة، والظروف لا تؤثر على ذلك. وتوصف هذه النظرة على أنها أخلاقيات ما هو صواب، لتأكيدها على ديمومة

القواعد الأخلاقية، وهى أخلاقية الأضداد، الخطأ والصواب، بينما أخلاقيات الموقف ـ وكما يبدو من التسمية ـ تأخذ الموقف فى الاعتبار بشكل أكبر، ويمكن وصفها بأخلاقية «ماهو خير» لأنها تسعى إلى إيجاد أفضل الحلول فى موقف معين.

إن الخطوط الإرشادية الأخلاقية المرنة القابلة للتغير، هى عنصر واحد فقط من عناصر وضع القرار الأخلاقى، أما العنصر الآخر فهو الموقف نفسه، فهو يسمح بالاختلافات فى المواقف المعينة، وهو يتطلب أيضًا إعطاء هذه الاختلافات مكانًا رئيسيًا إذا ما نشدنا شرعية عملية التفكير الأخلاقى. وبينما رحب البعض بمرونة المرجعية كاستجابة مناسبة توائم عصر الإنسانية، خاف آخرون من إشاعتها للفوضى الأخلاقية، وربما يكون قد ثبت صواب كلا الجانبين. وعلى جميع الأحوال، ساعدت هذه الثورة فى التفكير الأخلاقى فى إعداد الموقف لظهور اليمين الدينى السياسى فى العقود التى تلت عقد الستينات.

التكنولوجيا تسبق الأخلاقيات

وفى نهاية الأمر، استطاع التقدم التكنولوچى الكبير الذى بدأ فى الستينيات وتوالى فى العقود الثلاثة التالية، تغيير نمط حياة الناس، فوصل الإنسان إلى الفضاء، وعلى الجانب الآخر، زعم مؤيدو تعاطى العقاقير المخدرة أنهم وجدوا «الفضاء» الداخلى!. وجاء تطور وزيادة استخدام الحاسبات الآلية وبداية تقنية البث عبر الأقمار الصناعية مما جعل الاتصالات أكثر يسرًا وسرعة. وبدأ عصر الصناعة فى الانحسار أمام مد عصر الاتصالات، وزاد التقدم الطبى من قدرتنا فى الحفاظ على الحياة الطبيعية، وسرعانَ ما فاق هذا قدرتنا ورغبتنا فى التفكير الأخلاقى فى المعانى المرتبطة بهذا التقدم. فبينما تلقى بعض التطورات التكنولوچية بظلال الشك على الطرق التقليدية للتفكير فى نهاية الحياة، جعلت بعض التطورات الأخرى الحادثة فى مجال التحكم فى الحمل والخصوبة، إعادة التفكير فى بداية الحياة ضرورة مُلحَّة.

وأصبحنا على وعى ببداية أزمة الطاقة، وكيف تهدد التكنولوچيا البيئة، وأدركنا كيف يهدد البشر أنفسهم استقرار كوكب الأرض؟ وببساطة بسبب تكاثرهم. وانتشرت الأسلحة النووية منذ ألقت الولايات المتحدة القنابل الذرية على هيروشيما ونجازاكى فى ١٩٤٥ وانتشر معها الرعب منها. واحتلت الآلات أحيانًا مكان البشر فى القوى

العاملة وأملت عليهم أسلوب إنجاز الأعمال بشكل متزايد. واستمر التطور التكنولوچى بسرعة فائقة، كما استمر فى إثارة تساؤلات يطرحها كل من الدين والسياسة.

وخلاصة القول، أن الفترة بين ١٩٦٠ و١٩٧٠ شهدت تغييرات اجتماعية هائلة غير مسبوقة، وتحولات أضافت إلى التغيير الجذرى الصارخ فى العالم الذى يعيش ويعمل فيه الإنسان. وتطلبت هذه التغييرات إعادة التفكير فى الترتيبات الاجتماعية والثقافية ودور ومغزى الحياة الإنسانية نفسها، وهذا بدوره يتعلق بالدين والسياسة. وما زالت إعادة التفكير هذه، وهى التى بدأت فى الستينيات، مستمرة حتى كتابة هذه السطور.

* جماعات الضغط الدينية فى واشنطن

لقد ذكرنا آنفًا أنه ربما يكون أهم اكتشاف للجماعات الدينية خلال القرن التاسع عشر والنصف الأول من القرن العشرين، هو إمكان استخدام العملية السياسية لتحقيق مآربهم الاجتماعية وأحيانًا الدينية.. ويستمر هذا كعامل مهم فى النصف الثانى من القرن العشرين، حيث أصبح انتشار جماعات المصالح الخاصة سمة متزايدة من سمات الدين، وهو تطور يطلق عليه عالم الاجتماع روبرت ووثنو «شكل مهم من أشكال إعادة البناء الاجتماعى للدين الأمريكى» (ووثنو ١٩٨٨ : ١٠١). وهناك نتيجة ملحوظة لهذا الاتجاه، ألا وهى تعاظم أهمية جماعات الضغط الدينية فى واشنطن، وسوف نعرض هنا بعض أوجه هذه الجماعات ونعود لمناقشة سلوك الجماعات الدينية كجماعات مصالح بشكل مطول فى الفصل الخامس من الجزء الثانى.

ولعلنا نشير بإيجاز إلى حقيقة تاريخية، وهى أن أول عمل مهم لطائفة دينية معينة فى واشنطن، كان تأييد الميثودية «للتحريم» وأصبح المبنى الميثودى الذى شيد عام ١٩٢٣ على الجانب المقابل لمبنى الكاپيتول مركزًا لجهود التحريم، ويضم اليوم مكاتب كثير من جماعات البروتستانت الليبرالية فى واشنطن (هيرتزك ١٩٨٨ : ٢٨).

وطبقًا لما ذكره هيرتزك (١٩٨٨ : ٢٨-٤٣)، نستطيع تحديد ست جماعات دينية أساسية ذات آراء متميزة، وهناك خلاف كبير حول الاستخدام الصحيح لمصطلح «الإيڤانجليكى» و«الأصولى»، ونحن هنا نستخدم مصطلح هيرتزك فى هذا الجزء..

وتعكس الجماعات الست ـ أهم المشاركين فى التفاعل بين السياسة والدين ـ حال تطوره منذ الستينيات. وليست كل هذه الجماعات متناغمة، فهى تضم الصفوة، وأفراد الدوائر الانتخابية المختلفة، كمجموعة متنوعة من الرؤى حول الأمور الدينية والسياسية، والعلاقة الصحيحة بين الدين والسياسة، ومع ذلك فلهم من السمات المشتركة ما يميزهم كجماعات منفصلة.

البروتستانت الليبراليون

يمكن وصف البروتستانتية الليبرالية بالتحررية اللاهوتية والاجتماعية والاقتصادية، وهى تسعى لبناء ائتلاف من الجماعات ذات الفكر المتشابه، ولديها الاستعداد لمناقشة السياسة القومية فى الشئون الخارجية، وترى أن ما يفعله الكبار ـ باتفاق ـ خلف الأبواب المغلقة لا يقع فى دائرة احتكار الحكومة. وتضم هذه الجماعات طوائف البروتستانت التى يطلق عليها وصف «التيار الرئيسى»، مثل الميثوديين والمشيخيين واللوثريين والمعمدانيين الأمريكيين والأسقفيين والكنيسة المتحدة للمسيح، كما تضم أيضًا كل من يهتم بالسلام والعدل مثل المينونيت والصاحبيين والإخوان ويمثل هذه الجماعات المجلس القومى للكنائس.

يعود تاريخ العمل من أجل القضايا التحررية اجتماعيًا واقتصاديًا من خلال التقاليد الليبرالية البروتستانتية، إلى حركة الإنجيل الاجتماعية (ناقشناها فى الفصل السابق)، والتأكيد على هذا النوع من القضايا يدعمه المد اللاهوتى الليبرالى، الذى اجتاح معاهد اللاهوت خلال العشرينيات وتجدد فى الستينيات كلاهوت راديكالى يركز على البعد الاجتماعى للمسيحية، وأحيانًا يستبعد تقريبًا جميع الأبعاد الأخرى. إن اللاهوت الليبرالى ومع تركيزه على الحياة الدنيا وتفاؤله بشأن البشر، والعالم نفسه، وسعيه لمواءمة الفكر الدينى مع مطالب العقل والعلم، ورغبته فى التعاون مع الجماعات ذات الفكر المشابه، أصبح يحظى بمكانة تجعله قادرًا على تناول القضايا الاجتماعية بشكل مستمر.

وكما هو الحال مع أشياء أخرى، فقد دفعت ـ بشكل كبير ـ حركة الحقوق المدنية انخراط الليبراليين البروتستانت فى أنشطة الضغط، وأنشطة أخرى لدعم العدالة الاجتماعية، ومثلت حرب ڤيتنام قضية أخرى لحشد القوى.

وكما يشير هيرتزك (١٩٨٨ : ٣١)، يمكن إيجاز وجهة النظر البروتستانتية الليبرالية فى كلمتين: «السلام والعدل»، وهذا يتضمن العمل من أجل العدل للفقراء داخليًا وخارجيًا، مشتملاً على دعم الرفاهة فى أمريكا وتنمية العالم الثالث. إن العمل من أجل السلام كثيراً ما يترجم إلى انتقادات متكررة للسياسات الأمريكية العسكرية والخارجية، واستراتيجيات الأسلحة النووية والإنفاق العسكرى على عمومه، على أساس أن الأموال التى تنفق على التسليح وأسلحة الدمار الشامل قد انحرفت عن أوجه إنفاقها الصحيحة، ألا وهى البرامج الإنسانية.

وتؤيد البروتستانتية الليبرالية بشكل ثابت راسخ المساواة فى الجنس والنوع، كما تؤيد أيضًا مواقف اجتماعية ليبرالية مميزة، مثل حقوق الإجهاض والحقوق المدنية للشواذ.

وما زالت الزعامة البروتستانتية الليبرالية تقف شاهداً على المواقف الاجتماعية التقدمية، إلا أنها واجهت ثلاث مشاكل رئيسية فى السنوات الأخيرة:

- هناك خلافات بين رجال الكنيسة والعامة حول المسائل الاجتماعية والسياسية فى حد ذاتها، ويتزايد شعور مرتادى الكنائس بأن مسئولى الطائفة لا يمثلونهم حقًا.
- يتردد العامة أكثر من رجال الكنيسة بشأن انخراط القساوسة بشكل مباشر فى العمل السياسى، واتضح هذا خلال الكفاح من أجل الحقوق المدنية فى الستينيات، وهو ما زال قائمًا حتى الآن. ويتزايد الشعور لدى من كانوا يومًا ما من العناصر البروتستانتية الليبرالية والاجتماعية، بأن ما يخص الدين هو الدين نفسه.
- وانعكس هذان الأمران فى شكل انخفاض حاد فى الدعم المالى لمكاتب الطوائف القومية والمجلس القومى للكنائس على وجه الخصوص، مما أدى بها إلى تقليص حجم موظفيها ومبادراتها لمواجهة العجز المالى.

الأصـــوليون

«القيم التقليدية» هى الصيحة التى تحشد جماعات الضغط الأصولية فى واشنطن، فهم يدافعون عن الأسرة التقليدية والدين التقليدى والوطنية القوية بمفهومها التقليدية، كما يدافعون عن الطريقة التطهرية بالنسبة للأخلاق، والتى تؤكد على الاستقامة

الأخلاقية الشخصية، ويحشدهم دعمهم للقيم التقليدية ضد التغييرات فى الأسرة التى تحدث بسبب ليبرالية قوانين الطلاق ودخول المرأة ميدان العمل وانتشار الفن الإباحى والحقوق المتزايدة للشواذ من الجنسين وحقوق الإجهاض. وهم يؤيدون الصلاة فى المدارس وبرامج الكفالة التى تسمح لأولياء الأمور باختيار مدارس الأبناء وحرية عمل المدارس المسيحية بأقل تدخل من جانب الحكومة. وهم مثل البيوريتانيين القدامى، يودون أن تكون قيم المسيحية التقليدية أساسًا للقانون المعمول به. وتضم الجماعات الرئيسية التى تمثل هذه الفئة «الأغلبية الأخلاقية» (لم تعد موجودة الآن) و«الائتلاف المسيحى» و«التركيز على الأسرة» و«السيدات المهتمات بأمريكا».

والمشكلة كما يراها الأصوليون لا تتركز فى العلمانية بوجه عام، ولكن «علمانية الصفوة» فالصفوة العلمانية تتمثل فى الإعلام والحكومة والمؤسسات التعليمية وواضعى البرامج، أكثر من تمثلها فى العامة، وهو ما يعنى أن الصفوة التى تقرر السياسة وتضع القانون تفتقر إلى قيم الأغلبية. ويرى الأصوليون أن هؤلاء الصفوة قاموا بوضع المعايير والسياسات لوقت طويل، وقد آن أوان إعادة قيم الأغلبية الأخلاقية.

الكاثوليك

عادة ما كانت التعاليم الرسمية للكنيسة الكاثوليكية محافظة من الناحية السياسية، ترمز لها وتجسدها إلى حد ما حياة وعمل فرانسيس كاردينال سبلمان (كبير أساقفة نيويورك من ١٩٣٩ إلى ١٩٦٧)، وكان تأثير الكنيسة على السياسة تقليديًا حتى وقت قريب (كوونى ١٩٨٤). وقد عكس سبلمان الاتجاه المحافظ، متمثلاً فى معاداة الشيوعية والتشكك فى حقوق العمل والحقوق المدنية، وتأييد العسكرية بقوة، وأيدت قلة من عامة الكاثوليك آراء سبلمان. لقد أيد الكاثوليك إلى حد ما حركة الأب كوجلين وحملة مكارثى، وحظيت جمعية چون بيرتش وهى منظمة علمانية يمينية ببعض التأييد من الكاثوليك (ليبست ١٩٦٤).

ومع ذلك، كانت هناك قوى موازية تعمل فى الكنيسة الكاثوليكية وخاصة من بين صفوتها، فقد ساهم روبرت ف. واجنر - عضو مجلس الشيوخ عن ولاية نيويورك - بشكل واضح فى تأسيس نظام الرفاهة فى الولايات المتحدة (أوبريان ١٩٦٨). وخلال نفس فترة تزعم سبلمان لكنيسة شديدة المحافظة، شاركت دوروثى داى فى تأسيس حركة العمال الكاثوليك التى ربطت الكنيسة بآراء اجتماعية تقدمية متنامية، خاصة

فيما يتعلق بالقضايا التى تؤثر على العمال (بييل ١٩٨٢). ومنذ تأسيس الحركة خلال فترة الكساد العظيم وحتى وفاتها فى عام ١٩٨٠، عملت داى وزملاؤها دون كلل باسم الفقراء والمضطهدين. أما إصدار «العامل الكاثوليكى» الذى أسسته فى عام ١٩٣٣، فقد ظل دائمًا صوتًا للفكر الاجتماعى الكاثوليكى الليبرالى. وبالإضافة إلى هذا، انخرط - بشكل متزايد - بعض الكاثوليك المهتمين بالأخلاق فى الأخلاقيات الاجتماعية (كوران ١٩٨٢).

إنه لمن الصعب المبالغة فى تقدير دور مجلس الڤاتيكان الثانى فى نشر هذا الاتجاه بين زعامات الكاثوليك والعامة، لقد قام المجلس برئاسة البابا يوحنا الثالث والعشرين من ١٩٦٢ إلى ١٩٦٥ بأمرين كان لهما الأثر المباشر فى نمو المشاركة الاجتماعية الكاثوليكية الليبرالية. الأول كان تشجيع العامة والزعامات على السواء، على تطبيق القيم الدينية على الحياة الدنيا، وخاصة على مطالب الحياة الاجتماعية فى عالم ينكمش بشكل متزايد، والأمر الثانى إعادة تنظيم الكنيسة الكاثوليكية فى الولايات المتحدة، مما أعطى السلطة للأساقفة الأمريكيين لتأسيس المؤتمر الكاثوليكى الأمريكى، وساعد هذا فى توحيد رأى الكنيسة بخصوص القضايا الاجتماعية، مع إعطاء الأساقفة الأمريكيين درجة من الاستقلالية، وصارت المنظمة مصدرًا لليبرالية الاجتماعية الكاثوليكية (حنا ١٩٧٩).

وجاء انتخاب چون كنيدى رئيسًا للولايات المتحدة فى ١٩٦٠ ليمثل ذروة الانخراط الليبرالى فى السياسة من جانب الكاثوليك الأمريكيين، وقد عنى انتخابه لكثير من الكاثوليك حصولهم أخيرًا على التوازن الثقافى مع الأغلبية البروتستانتية. وشجع تأييده لسياسة ليبرالية اجتماعية الاتجاهات الموجودة بالفعل.

واليوم فالمؤتمر الكاثوليكى الأمريكى عبارة عن جماعة ضغط متعددة الأبعاد؛ إذ إنها تشارك اهتمامات عدد من الجماعات الأخرى. ويمكن تحديد مبادئها بثلاث كلمات: «السلام والعدل والقيم التقليدية» وهى تنحاز إلى البروتستانت الليبراليين بخصوص بعض القضايا، مثل الإنفاق العسكرى وتنمية العالم الثالث، إلا أنها انحازت فى موقفها بالنسبة للقضايا الاجتماعية «مثل الإجهاض» إلى البروتستانت المحافظين. وهذا يمثل ما يمكن الإشارة إليه باعتباره اهتمامًا غير محدود بحياة تسمو فوق الخلافات اللاهوتية بين هذه الجماعات.

وتهتم الكنيسة الكاثوليكية الأمريكية دائمًا وبشكل خاص، بقضايا تهميش المهاجرين وحقوقهم، وهذا مرجعه جذورها التاريخية ككنيسة مهاجرين. ومن المقدر بحلول عام ٢٠٠٠ أن تصبح نسبة ٥٠٪ من كاثوليك الولايات المتحدة منحدرة من أصول إسبانية (أمريكا اللاتينية) وكثير منهم لن تكون الإنجليزية لغتهم الأصلية (كوربت ١٩٩٧). ونتيجة لهذا، فغالبًا ما يتركز الانخراط السياسى الكاثوليكى المعاصر حول القضايا التى تؤثر فى الجماعات ذات الجذور الإسبانية والمكسيكية. فقد كان سيزار تشافيز الذى نظم عمال المزارع المهاجرين الأمريكيين ـ المكسيكيين فى الستينيات والسبعينيات من عوام الكاثوليك، وأدى عمله إلى تأسيس اتحاد عمال المزارع القومى لحماية حقوق عمال الزراعة المهاجرين أينما عملوا.

وفى عام ١٩٨٣، تناولت بالتحديد الرسالة الرعوية للأساقفة الأمريكيين الاهتمامات الاجتماعية الخاصة بالإسپان، متضمنة «حقوق التصويت والتفرقة وحقوق الهجرة وأحوال عمال المزارع وازدواجية وتعددية اللغة». وبطبيعة الحال، لا تؤثر هذه القضايا على الإسپان فحسب، بل ينطبق معظمها مثلاً على المهاجرين الآسيويين الذين يتنامى عددهم فى الولايات المتحدة.

ويبدو التأثير الكلى للكاثوليكية وتعاليم الكنيسة على الوضع السياسى التعددى فى الولايات المتحدة متواضعا، وهذا على الرغم من التنظيم القوى والتمثيل الناجح فى واشنطن والاستعداد للمشاركة فى بناء الائتلافات. وباستثناء الجدل الدائر حول الإجهاض واكتساب تأييد الدولة للمدارس الأبرشية، فلا يوجد تماسك كاثوليكى أو تأثير قوى، بل ويبقى بعض التعصب ضد الكاثوليك، وهو ما يقلص بناء الائتلافات (فاولر ١٩٨٥). وتشير الاتجاهات الديموغرافية بين العامة الكاثوليك إلى استمرار نسبة متزايدة من المؤمنين المخلصين فى اكتساب مزاجهم الأخلاقى من الثقافة الأمريكية أكثر من اكتسابه من تعاليم كنيستهم (كوربت ١٩٩٧)، وقد يشير هذا إلى وجود فجوة متزايدة بين العامة الكاثوليك والزعامة حول قضايا تختص بالسياسة والدين على السواء، وهى فجوة تماثل تلك الخاصة بالپروتستانت الليبراليين.

اليهـــود

ساعدت القيم الدينية اليهودية، إلى جانب خبرتهم التاريخية على انخراط اليهود

فى السياسة بدرجة تفوق نسبتهم فى عدد السكان، ووجهة النظر اليهودية بشأن الأمور السياسية والاجتماعية أكثر تعقيداً مما تبدو لأول وهلة، وهى ليست متناغمة، مثلها فى ذلك مثل التدين اليهودى، **فالزعامات الثقافية والفكرية اليهودية العلمانية لها نفوذ قوى فى تشكيل الرؤية اليهودية أقوى من مثيله بالنسبة للپروتستانتية والكاثوليكية، والدين المدنى اليهودى (ووتشر ١٩٨٦) الذى يوحد إلى درجة بعيدة يهود الولايات المتحدة على تنوعهم الدينى، لا يتطلب من الفرد أن يكون ورعا حتى يصبح يهودياً، ومع هذا تستحق هذه الرؤية الذكر هنا؛ لأنها تمثل المصالح الدينية الثقافية اليهودية.**

عادة ما تؤيد الجماعات اليهودية البروتستانت الليبراليين والكاثوليك فى كثير من القضايا، بما فيها السياسة الخارجية والسياسة العسكرية والتعديل الخاص بالحقوق المتساوية والقضايا القومية والحقوق المدنية والمسائل الخاصة بعلاقة الكنيسة بالدولة، **بينما يختلف بعض اليهود والپروتستانت الليبراليين بخصوص إسرائيل. فالعديد من البروتستانت الليبراليين يعتقدون أن أى سلام دائم فى الشرق الأوسط يجب أن يشتمل على العدل للفلسطينيين والتفاوض معهم، وتسبب هذه الاتجاهات خلافًا عميقا بينهم وبين بعض اليهود ممن يعتقدون أن أى حل وسط مع الفلسطينيين يعنى ظلمًا لليهود (هيرتزك ١٩٨٨).**

لقد تميز اليهود ـ وما زالوا ـ بالاتجاه الإيجابى نحو التغيير الاجتماعى ونحو استخدام الحكومة كوسيلة أساسية لإحداث التغيير (فاولر ١٩٨٥)، وتميل معظم رؤاهم ـ بشكل كبير ـ إلى يسار الوسط بالنسبة لمعظم القضايا الاجتماعية ـ السياسية، وتكاد هذه الرؤية ـ على الأقل بالنسبة لبعض اليهود ـ أن تكون استشرافًا دينيا واجتماعيًا سياسيًا (فوتشس ١٩٥٦ ـ سكلير وجرين بلم ١٩٦٧ ـ ليبمان وكوهين ١٩٩٠). وهذا هو أحد أسباب احتفاظ الحزب الديمقراطى بتأييد معظم اليهود خلال سبعينيات القرن العشرين.

وهذه الليبرالية الاجتماعية والسياسية هى جانب متأصل فى الفكر الدينى اليهودى، وقد أصبحت مثار جدل بين العلماء فى السنوات الأخيرة، وأثارت العلاقة التى قدمها فوتشس (١٩٦٥) وسكلير وجرين بلم (١٩٦٧) وليبمان وكوهين (١٩٩٠) تساؤلات العلماء الذين وجدوا أن اليهود المتشددين دينيًا، هم أيضًا الأشد محافظة من الناحية

السياسية (كوهين ١٩٨٣ وبن وشوين ١٩٨٨ وليزروتز ووينتر وداشفسكى ١٩٨٨). وفى اعتقادنا أنه يكمن هنا أساس وجود الليبرالية الاجتماعية فى محيط التقليد اللاهوتى اليهودى. فمن الناحية اللاهوتية، تنبثق ليبرالية القضايا الاجتماعية من مواقف أنبياء اليهود. فقد أمر أنبياء اليهود شيعتهم مرارًا وتكرارًا برعاية التعساء والمظلومين والأرامل واليتامى، كجانب أساسى للتقفانى من أجل الرب الذى يهتم برفاهة الجميع. وما لا يدعو للمفاجأة أن هؤلاء اليهود المتشددين دينيا، هم الأقل ليبرالية سياسيًا، فاليهودية المتشددة تركز على الشعائر التى يراها المتشددون بنفس أهمية الوصايا الأخلاقية. والتركيز هنا يكون على البعد الرأسى أى الناس والرب. أما اليهودية الليبرالية دينيًا والممثلة فى يهودية الإصلاح وإعادة البناء، فترى (أنه فقط) الوصايا الأخلاقية هى الملزمة دينيًا، فيصبح الدين هو الأخلاق وخاصة الأخلاق الاجتماعية، والتركيز هنا يكون خالصًا على العلاقة الأفقية، أى علاقة الإنسان بالإنسان كأسلوب يجسد العلاقة الدينية نفسها. وعلى الرغم من أن اليهود من أكثر الجماعات المصوتة تأثيرًا فى الولايات المتحدة، فهم يميلون أقل من غيرهم إلى التصويت لمصلحتهم الاقتصادية الخاصة (فيشر ١٩٨٩ وفوتشس ١٩٥٦).

إن تاريخ اضطهاد اليهود ووضعهم كأقلية بشكل مستمر، جعلهم أبطالاً مغاوير فى مجال الحريات المدنية للفرد وفصل الكنيسة عن الدولة، كما أدى اهتمامهم بالحريات المدنية إلى تحالفهم المبكر مع السود فى حركة الحقوق المدنية، إلا أنه ظهر التوتر بين اليهود والسود مع تأسيس برامج العمل الإيجابى التى منحت السود بعض المزايا. فبالنسبة لليهود وهم عادة ضحايا «أنظمة قصر الحصص» بدا برنامج العمل الإيجابى مانحًا لمزية غير عادلة لجماعة دون الأخرى. وعندما تحالف اليهود مع معارضى برنامج العمل الإيجابى كوسيلة للتقدم الراديكالى، اتهمهم السود بالعنصرية، ورد بعض اليهود باتهام السود بمعاداة السامية.

كما ظهر التوتر داخل الجماعات اليهودية وبينها وبين جماعات دينية أخرى حول العلاقات مع إسرائيل كما أشرنا آنفًا. **وفى ١٩٧٥ أعلنت الأمم المتحدة أن الصهيونية ـ التأييد اليهودى لإقامة وطن قومى يهودى فى فلسطين ـ هى ضرب من ضروب العنصرية، وقارنت أفعال يهود إسرائيل ضد الفلسطينيين بتلك لبيض جنوب أفريقيا ضد السود.**

وتسبب هذا الإعلان فى تقويض العلاقات بين اليهود والسود فى الولايات المتحدة على نحو متزايد.

وتسببت هذه القضايا وغيرها مما هو على جانب أقل من الأهمية، فى إعادة تفكير عدد صغير من المفكرين اليهود بشأن الالتزام اليهودى التقليدى تجاه الليبرالية السياسية وكذلك الحزب الديمقراطى. وأضحت إعادة التقويم هذه أكثر أهمية خلال حملة القس جيسى جاكسون الرئاسية فى عام ١٩٨٤، واتهم خلالها بمعاداة السامية. ونتيجة لعدائه المفترض تجاه اليهود لم يؤيدوا ترشيحه. وهناك أدلة مستمرة على أنه بينما يبقى اليهود على رأس جماعات المصالح السياسية الليبرالية، فهم أقل ليبرالية من الناحية الاقتصادية من ذى قبل. وكما سنرى لاحقًا فى الفصل الثانى من الجزء الثانى حال تناولنا قضايا الحريات المدنية الفردية، يبقى اليهود على ثباتهم الشديد المؤيد لحرية الفرد، كما يؤيدون بقوة حقوق الإجهاض والمساواة بين المرأة والرجل وحقوق الشواذ على سبيل المثال.

البروتستانت الإيڤانجليكيون

لكلمة «إنجيلى» معان عدة فى الفكر البروتستانتى، ولا يشكل الإيڤانجليكى المحدثون مجموعة متناغمة، وسوف نستخدم كلمة إيڤانجليكى لوصف هؤلاء البروتستانت ذوى التوجه المحافظ للدين دون نزعة عدائية، أو أحيانًا انفصالية، كالتى تميز الأصوليين. فهم يؤكدون على التعاليم الدينية والأخلاقية المسيحية، ويرفضون اللاهوت الليبرالى ومواقفه الأخلاقية الليبرالية، دون التطرف الذى يتسم به كثير من الأصوليين. وتتضمن هذه الفئة كثيرًا من المعمدانيين، وأيضًا نسبة كبيرة من الميثوديين واللوثريين والمشيخيين وآخرين.

بدأت جماعات الضغط الإيڤانجليكية عملها من خلال الاهتمام بحماية حرية الدين، واتسعت دائرة الاهتمام فى الوقت الحالى بدرجة كبيرة، إلا أن قضايا علاقة الدولة بالكنيسة ما زالت تحتل موقعًا مهمًا فى عملها، فهى تدرك ما يهدد الحرية الدينية من اليمين فى شكل الأصولية المتطرفة التى تفرض التعبير الدينى على الجميع، ومن اليسار فى شكل التطبيقات المقيدة لنبذ الكنيسة الرسمية، وما ينتج عنه من تقييد للحرية الدينية وخاصة للإيڤانجليكيين المهتمين بممارسة إيمانهم بشكل عام.

وقد تحالف الإيڤانجليكيون مع الأصوليين فى بعض القضايا، إلا أنهم أيدوا الليبراليين والپروتستانت والكاثوليك واليهود فى البعض الآخر. وينصب اهتمامهم على «السلام والعدل والقيم التقليدية» (هيرتزك ١٩٨٨ : ٤٢) وهى نفس العبارة التى تصف رؤية الكنيسة الكاثوليكية.

ويؤمن الإيڤانجليكيون بوجود أمر إنجيلى أصيل بالعمل الاجتماعى من أجل الفقراء والمظلومين داخليا وخارجيًا، ولذا أصبح صنع السلام يلعب دورًا متزايدًا، وغالبًا ما أيد الإيڤانجليكيون الكاثوليك والپروتستانت الليبراليين فى القضايا الاجتماعية والاقتصادية ونزع السلاح النووى وصنع السلام والقضايا المشابهة. إلا أنهم يهتمون أكثر من الليبراليين بارتباط مواقفهم بشكل مباشر وواضح بالكتاب المقدس. وعلى عكس الكاثوليك، فهم لا يؤسسون رؤاهم على تقاليد الكنيسة. وعلى الجانب الآخر، يضعهم تأييدهم للأخلاقية التقليدية إلى جانب البروتستانت الأصوليين والمورمون والكاثوليك واليهود شديدى المحافظة فى قضايا مثل الإجهاض وحقوق الشواذ.

الإيڤانجليكيون السود

يحتل الإيڤانجليكيون السود مكانًا متفردًا فى المنهاج الإيڤانجليكى، وتحتفظ معظم كنائس السود التاريخية - مثل الأسقفية الميثودية الأفريقية والأسقفية الميثودية الأفريقية الصهيونية والأسقفية الميثودية المسيحية وعدد من الكنائس المعمدانية للسود - بمكاتب خاصة فى واشنطن، إضافة إلى العمل مع جماعات إيڤانجليكية أخرى، وهم ينشدون الحقوق المدنية والعدل للسود والأقليات الأخرى والجماعات المحرومة على السواء.

* * *

ولا تتمتع جماعات المصالح الدينية المذكورة سابقًا بالتناغم فى رؤاها، ولا هى الجماعات الدينية الوحيدة الممثلة فى الحياة السياسية فى الولايات المتحدة. لقد وصفنا الميول العامة لبعض أكبر وأشهر تلك الجماعات الدينية، حيث تنعكس هذه الميول على نشاطهم كجماعات ضغط فى واشنطن.

وصفت حركة الحقوق المدنية بأنها أهم وأحدث مثال لحركة سياسية تلعب القوى الدينية فيها دورًا عظيمًا (فاولر ١٩٨٥ : ١٥٤). وعلى الرغم من تصدر الدين والمتدينين حركة الحقوق المدنية للسود منذ بدايتها، فقد عارض الكثيرون أيضًا الحقوق المدنية. وفى مايو ١٩٥٤، كان هناك حدث مهم فى بداية حركة الحقوق المدنية، ففى دعوى بلسى ضد فيرجسون ١٨٩٦، حكمت المحكمة الأمريكية العليا بأن المنشآت المعزولة بشكل عنصرى، مثل المدارس وأماكن الإقامة، لها صفة الدستورية ما دامت الخدمات المتوافرة فيها على نفس القدر من الجودة. أما فى (١٩٥٤) دعوى براون ضد مجلس التعليم بتوبيكا بولاية كانساس، حكمت المحكمة أن المنشآت المنفصلة ليست متساوية، ومن ثم يُعتبر هذا تمييزًا غير قانونى. وأمرت المحكمة تلك المدرسة برفع العزل وبشكل عاجل.

وفى العام التالى وفى جو مشحون بالتوتر، استقلت روزا باركس وهى عاملة فى مونتجمرى بولاية آلاباما حافلة عامة لتعود إلى بيتها بعد يوم عمل شاق، ولما لم تجد مقاعد شاغرة فى المؤخرة حيث يطلب من السود الجلوس، جلست فى مقعد أقرب إلى المقدمة ورفضت أوامر السائق بالعودة إلى مؤخرة الحافلة حيث كان يتعين عليها الوقوف، فقبض عليها. وسارع مارتن لوثركينج راعى كنيسة شارع دكستر بمونتجمرى إلى تزعم ما عرف بعد ذلك بمقاطعة حافلات مونتجمرى، وهو الاحتجاج الذى دام سنة ضد الأماكن المنعزلة فى الحافلات للسود، وهم أكثر مستخدمى نظام الحافلات العامة بالمدينة.

واستمرت زعامة كنج لحركة الحقوق المدنية دون كلل خلال العقد التالى. وجمعت رؤيته الدينية بين الورع المعمدانى والحماس مع اللاهوت الشخصى الذى اكتسبه خلال دراسته العليا، واسترشدت منهاجيته بالالتزام بالتغيير الإيجابى، بأسرع ما يمكن من ناحية، والتزامه بالطرق السلمية من الناحية الأخرى. وخلص كينج من خلال دراسته لسيرة وتعاليم كل من عيسى وغاندى إلى أن الطريق لنتائج دائمة وثابتة، يمر من خلال التعاون والمواجهة غير العنيفة مع تمام الاستعداد لتحمل تبعات العمل.

منهاج كنج

العصيان المدنى السلمى

استخدم كنج وشيعته الأسلوب السلمى «للعصيان المدنى»، وكما أشار، فهناك أربع خطوات للقيام بذلك (١٩٦٣ ـ خطاب من سجن برمنجهام):

- تجميع دقيق للحقائق للتأكد من وقوع الظلم.
- اللجوء للتفاوض قبل استخدام أساليب مواجهة أخرى.
- التطهر النفسى ضرورة تسبق العصيان المدنى، حتى يدرك المشاركون دوافعهم بشكل جلى، ويكتسبون قوة داخلية كافية حتى لا يلجأوا إلى رد العنف بالعنف.
- العمل المباشر، مثل المسيرات والاحتجاج والاعتصام.

ويهدف العمل المباشر إلى إجبار المجتمع أو الجماعة على مواجهة قضية ما، يرفضون مواجهتها أو التفاوض حولها. وقد نجحت هذه الطريقة بالنسبة لغاندى فى تحريره الهند من الحكم الاستعمارى البريطانى. فمن النادر تنازل المجموعات المتميزة عن ميزاتها طواعية. ومن النادر أيضًا أن يمنح الظالم الحرية دون أن يكون هناك ما يفرض القضية، وهنا يأتى دور الاحتجاج السلمى كشكل من أشكال العمل السياسى.

القوانين العادلة

يشير كنج إلى وجوب انصياع الناس بصفة عامة إلى القوانين العادلة. وبالمثل يدعو الرب الناس إلى العصيان المدنى ضد القوانين الجائرة، وكيف لنا التمييز بين هذه وتلك؟

- يتوافق القانون العادل مع قانون الرب.
- القانون العادل ملزم للجميع، بينما القانون الجائر تطبقه الأغلبية على أقلية لم يكن لها يد فى وضعه.
- القانون العادل قد يكون جائرًا من حيث التطبيق.

كنيسة السود والحقوق المدنية

يضرب عمل كنج السياسى بجذور عميقة فى معتقداته الدينية وخبرته، وجاء

صدور قانون الحقوق المدنية فى عام ١٩٦٤ كأحد نتائج الإجراءات التى اتخذت بين منتصف الخمسينيات ومنتصف الستينيات، وبالإضافة إلى تأثير كنج، عمل أغلب الزعماء الدينيين البيض فى واشنطن على صدور هذا القانون. كما تكاتفوا مع كنج وزعماء دينيين سود آخرين فى سلما ومونتجمرى، وما يجدر ملاحظته هنا قيام قس كاثوليكى أبيض وهو تيودور هيزبرج بجامعة نوتردام بالعمل كرئيس للجنة الحقوق المدنية الفدرالية عام ١٩٦٩.

ولا يمكن تجاهل دور كنيسة السود فى حركة الحقوق المدنية، فلم يأت من صفوف رجال الدين السود مارتن لوثركنج فقط، بل أيضًا رالف أبيرناثى وأندرو يونج وجيسى جاكسون، وآخرون يتمتعون بشعبية طاغية، وقبل إلغاء العبودية، ساعدت ديانة السود العبيد على الإحساس بذاتهم ووجودهم كبشر أمام الرب، وكان هذا علاجًا قويًا مضادًا للشعور بالدونية فى نظر عالم مُلاَّك العبيد. وعقب التحرر من العبودية، قدمت كنيسة السود خدمات ضرورية لمساعدة العبيد المحررين وداومت على تقوية شعورهم بالذات وقيمتهم كبشر، كما وفرت هيكلاً يمكن من خلاله التعبير عن التوق للحرية والتنظيم دون مساعدة خارجية من الثقافة البيضاء.

وبالإضافة إلى هذا، أصبحت كنائس السود مراكز قيادة للحركة، فنظمت وسائل الانتقال لمن لا يستخدم الحافلات العامة وقدمت متطوعين وأصبحت مراكز للمعلومات ونسقت إسكان الطوارئ ووفرت الغذاء، كما أنها كانت مكانًا لشحذ الهمم.

تنوع الرؤى

كان هناك اختلاف فى الآراء بين كنائس السود ذاتها، فهناك من آمن بأن «عمل الدين يجب أن يقتصر على الدين فقط» وآخرون من الكنائس التى آمن أعضاؤها وزعماؤها بوجوب تزعم الحركة. وقد أشارت الدراسات التى أجريت خلال ستينيات القرن العشرين إلى وجود على الأقل ثلاثة أنماط من الاتجاهات بين رجال الدين السود، انعكست على العامة السود أيضًا. فتمسك التقليديون بوجهة نظر أن الكنيسة للدين والروحانيات فحسب، ويجب أن تنأى بنفسها كلية عن الانخراط فى السياسة، أما المعتدلون، فمع اعتقادهم بوجوب اهتمام الدين بالأمور الدنيوية إلى جانب الروحانيات، فقد فضلوا العمل من أجل التغيير التدريجى دون إحداث تمزق

واضطراب، أما المتشددون فقد آمنوا بدعوة الرب لهم إلى العمل السياسى المباشر ولو أدى إلى التمزق والاضطراب ما دام اقتضى ذلك إنجاز العمل، وهناك أقلية وصلت إلى حد إجازة العنف (چونستون ١٩٦٩ وماركس ١٩٦٩).

وعلى الرغم من اختلاف الرؤى، يرى بعض علماء كنائس السود العمل السياسى كجزء متأصل فى ديانة السود كتجسيد لوصاية تبشيرية بانتقاد المجتمع باسم الرب (پاريس ١٩٨٥).

ويشير علماء آخرون إلى تحول كنيسة الزنوج بمشاركتها فى حركة الحقوق المدنية، وتلبية لدعوة الحركة بتحقيق كمال الذاتية للسود. كان على كنيسة الزنجى الأمريكى - الذى تراه الثقافة البيضاء المهيمنة كذات منقوصة - الانحسار حتى تقوم الكنيسة المعاصرة للسود، «جريئة ذات صوت مسموع ومدركة لذاتها» (فريزير ولينكولن ١٩٧٤).

وبينما كان هناك تأييد واسع من زعماءكنائس البيض ومعابد اليهود، فلم يكن هذا التأييد شاملاً عامّا، ولم يكن خلافهم حول وجوب تحقيق المجتمع المتكامل وهو ما اتفق عليه الأغلبية، وإنما حول كيفية تحقيقه والدور الملائم لرجال الدين. وكقاعدة عامة، فضلت الجماعات المحافظة لاهوتيا والعامة أكثر من رجال الدين التغيير التدريجى من خلال إصدار القرارات والبيانات دون اللجوء إلى العمل المباشر، وبالتأكيد دون انخراط رجال الدين فى مثل هذا العمل المباشر.

ومن خلال تأثيرها على الدين السائد، أدت حركة الحقوق المدنية إلى زيادة انخراط الصفوة فى العمل السياسى المباشر وهو ما أدى بعد ذلك إلى معارضة العامة، وأشعل جذوة الصراع بين الجماعات الأكثر ليبرالية دينيّا وتلك الأكثر محافظة، فقد سعت الثانية إلى صوغ القيم العامة والتأثير على المجتمع بشكل غير مباشر، بينما سلكت الأولى طريقًا أكثر مباشرة للعمل السياسى (ووثنو ١٩٨٨ : ١٤٥ - ١٤٨). ولا يزال هذا التوتر الذى يماثل ذلك لفترة حركة التحريم - التى تناولناها فى الفصل السابق - مصدرًا لبعض الصراع بين الجماعات الدينية ولكن بدرجة أقل، حيث تبنت أيضًا جماعات أكثر محافظة العمل المباشر. وأوضح الأمثلة لهذا الاتجاه فى التسعينيات هو نسبة المسيحيين المحافظين المشاركين فى مظاهرات الاحتجاج أمام عيادات الإجهاض.

* اليمين المسيحى الجديد

أدى التقاء الدين بالسياسة فى نقطة ما إلى ظهور اليمين المسيحى الجديد، الذى بدأ فى سبعينيات القرن العشرين على الرغم من عودة بعض جذوره إلى الفترة الاستعمارية، ولم يكن هذا الظهور نتيجة للتوجه نحو المحافظة فى الدين خلال السبعينيات فحسب، ولكن نتيجة لدين محافظ يؤكد صوته السياسى.

ظهور اليمين المسيحى الجديد

لماذا ظهر اليمين المسيحى الجديد فى هذا التوقيت؟

هناك العديد من التفسيرات بعضها لاهوتى والآخر اجتماعى ـ سياسى، ولا يمكن تناولها كاملة هنا أو اقتفاء أثر تطورها التاريخى بالتفصيل، إلا أنه يمكن تقديم خطوط عريضة، كما يمكن الاطلاع على تحليل دقيق لهذه التطورات فى كتاب لعالم الاجتماع روبرت ووثنو بعنوان «إعادة بناء الدين الأمريكى: المجتمع والإيمان منذ الحرب العالمية الثانية» (١٩٨٨)، ونحن نستعين بتحليله فى دراستنا التالية:

إن ظهور اليمين المسيحى الجديد والفجوة المتزايدة بين الدين الليبرالى والمحافظ فى سبعينيات وثمانينيات القرن العشرين، يعتبر إرثًا للخلاف بين الأصولية والحداثة (ناقشناه فى الفصل السابق) ومع هذا، فالعلاقة ليست مباشرة. فالخلاف السابق ما هو إلا نقطة البداية، وهو إرث عدل بشكل كبير مع مرور الوقت، إلا أنه من الأهمية بمكان.

وبحلول خمسينيات القرن العشرين، اتسم الدين فى الولايات المتحدة بالانقسامات بين المسيحيين واليهود وبين المسيحيين الكاثوليك والبروتستانت وبين طوائف البروتستانت المختلفة، وابتعد الدين المحافظ ـ متعمدًا ـ عن الأصولية، بينما ابتعد الليبراليون عن الحداثة، واقترب كلاهما من موقف وسطى، واتفق معظمهم أن «دور الدين يجب أن يقتصر على أمور الدين فقط» وأن دائرة اهتمامه يجب أن تتركز فى كسب مهتدين جدد.

عقد الستينيات

غيرت الستينيات الصورة بشكل كبير، فقد ساعدت حركة الحقوق المدنية ودخول

أمريكا الحرب فى جنوب شرق آسيا على إحداث انقسام حاد فى أسلوب النشاط الدينى، فعُرفَ الليبراليون على أنهم المدافعون عن فكرة العمل المباشر مثل الاعتصام وأنواع أخرى من المظاهرات، بينما اعتقد المحافظون أن دور الدين هو التأثير على ضمير الفرد، وظهر هذا الانقسام فى الطوائف ممهداً لظهور انقسامات طائفية داخلية اتسمت بها العقود التى تلت.

ولعب التطور العلمى والتكنولوچى والتوسع فى التعليم العالى دوراً على جانب كبير من الأهمية، فأحدث هذا التوسع تغيراً فى القيم والاتجاهات، حيث تغيرت الاتجاهات بشكل كبير بشأن قضايا خاصة بأسلوب الحياة والأخلاق الشخصية كما بينا سابقًا.

ترجع أهمية هذا التحول بالنسبة لتطور اليمين المسيحى الجديد إلى خلق هذه التغيرات لثقافة تنقسم إلى طبقة العامة وطبقة الصفوة، وقيل إن الصفوة اتسمت بالاتجاهات الليبرالية والمساواتية. وبينما كانت هناك علاقة إيجابية خلال الخمسينيات بين التعليم ومؤشرات التدين التقليدى، عُكسَت هذه العلاقة فى الستينيات وأصبحت زيادة التعليم ترتبط إيجابًا بالميول الليبرالية

ومن ثَمَّ ومع نهايات الستينيات، ظهر صدع ثقافى على جميع المستويات التعليمية وهو ما ظهر أيضًا فى الطوائف.

السبعينيات والثمانينيات

وجاءت فترة السبعينيات والثمانينيات كفترة رأب لهذا الصدع، مما جعل الفرصة مواتية لظهور اليمين المسيحى الجديد، فاستمر الانقسام التعليمى واتسعت الهوة بين المتدينين من الليبراليين والمحافظين.

نتجت هذه التطورات عن وجود قوى دينية واجتماعية، فقد اكتسبت المحافظة الدينية هوية قومية فى عام ١٩٤٢ بتأسيس عدة منظمات موازية للكنيسة مثل «الحملة الجامعية من أجل المسيح» «الاتحاد القومى للإيڤانجليكيين» كمظلة للطوائف المستاءة من الليبرالية اللاهوتية للمجلس القومى للكنائس. وعززت الشهرة القومية التى تمتعت بها حملات بيلى جراهام هذه الهوية.

ومن المثير أيضًا إسهام الإعلام واستخدام تقنيات استطلاع الآراء فى تعزيز الشعور بالهوية القومية، فقد مكَّنَ استطلاع الرأى من قياس الوجدان والالتزام الدينى المحافظ، بدقة لم تعهد من قبل، **وأعْلنَ أنه من خمس إلى ثلث التعداد يعتبرون أنفسهم متدينين محافظين، وهذا حسب معايير التوصيف. ولفتت هذه النسبة انتباه وسائل الإعلام.**

وساعد ترشيح چيمى كارتر للرئاسة وفوزه بها عام ١٩٧٦ على احتلال المسيحية المحافظة مركز الصدارة فى الوعى الشعبى. وأعلنت كل من مجلتى تايم ونيوزويك عام ١٩٧٦ عامًا للإيڤانجليكية، وتأكد هذا مجددًا بإعلان چيرالد فورد (المنافس فى ١٩٧٦ والمتنافسين فى ١٩٨٠) رونالد ريجان وچون أندرسون بإعادة ميلادهم كمسيحيين، وكان هذا بمثابة إعلان عن نضج الحركة.

الأخلاقيات الخاصة والحياة العامة

كان التغيير الأهم هو الذى حدث فى القضايا التى تصدرت الجدال السياسى، مثل مسألة الإجهاض، وخلاف الآراء حول أخلاقية منع الحمل بوسائل صناعية، وأكثر من هذا التشكك فى أخلاقية أحدث تكنولوچيات التناسل الحديثة، وإشكالية دور الرجل والمرأة، وعلاقة الكنيسة بالدولة. كلها دخلت حلبة الجدل العام. وأصبحت الأخلاقيات العامة قضية خاصة عقب فضيحة ووترجيت. وأثار قرار المحكمة العليا بإجازة الإجهاض دعوى (روى ضد وادى) ١٩٧٣ الجدال حول العلاقة بين الأخلاقية والحياة العامة.

ودائمًا ما رأى المسيحيون المحافظون صلة وثيقة بين الأخلاقيات الشخصية والحياة العامة، وبين الاختيارات الأخلاقية الفردية ومصائر الأمة. هذا بالإضافة إلى اتفاقهم بشكل كبير بشأن القضايا الأخلاقية أكثر من اتفاقهم حول أمور أخرى، مثل حرب ڤيتنام أو العلاقات بين الأجناس.

اليمين المسيحى الجديد والحزب الجمهورى

استمرت القضايا والمسائل التى كانت محور جدول الأعمال السياسى فى السبعينيات على هذا الحال خلال الثمانينيات والتسعينيات، وهناك تحول يثير الاهتمام

بوجه خاص، ألا وهو العلاقة الوثيقة المتزايدة بين اليمين المسيحى الجديد والحزب الجمهورى، فى أواخر السبعينيات والثمانينيات. ولم تبدأ هذه الصلة فى أواخر السبعينيات، **فالعلاقة بين بيلى جراهام ودوايت أيزنهاور معروفة، مثلها كمثل صلوات الإفطار فى البيت الأبيض أثناء فترة رئاسة نيكسون، ومع هذا وصلت العلاقة إلى آفاق جديدة مع ترشيح ريجان ثم فترة رئاسته.** والنقاط التالية توضح ذلك، وهى ليست قائمة شاملة ولكنها على سبيل المثال وليس الحصر:

- أيد ريجان عمل المسيحيين المحافظين فى خطاب وجهه إلى اجتماع كهنوتى فى تكساس عقب مؤتمر ترشيحه مباشرة.
- غطت وسائل الإعلام بشكل مكثف «الأغلبية الأخلاقية» خلال حملة ريجان الانتخابية.
- عين ريجان عدداً من المفضلين لدى اليمين المسيحى الجديد فى مناصب سياسية.
- فى عام ١٩٨٣، أيد ريجان فى خطابه أمام الإذاعيين الدينيين القوميين خفضًا فى الضرائب لأولياء أمور تلاميذ مدارس الأبرشيات، وعودة الصلاة إلى المدارس، وأدان الحكم فى قضية (روى ضد وادى) وكلها أمور قريبة إلى قلب اليمين المسيحى الجديد.
- تأسست فى عام ١٩٨٣ جماعة عمل سياسية جديدة هى التآلف الأمريكى من أجل القيم التقليدية للحصول على أصوات المحافظين لتذكرة ريجان ـ بوش الانتخابية فى عام ١٩٨٤.

وركز الائتلاف على تسجيل الناخبين من المحافظين المتدينين، وحصل على دعم مباشر من البيت الأبيض فى عهد رئاسة ريجان فى شكل منحة قدرها مليون دولار (چورستاد ١٩٩٣).

ولكن جدوى هذه الصلة لليمين المسيحى الجديد جاءت بشكل أقل مما أمّل فيه زعماؤه وأعضاؤه، ففى انتخابات عام ١٩٨٦، خسر المرشحون للكونجرس ممن أيدهم اليمين المسيحى الجديد على مستوى الولايات والأمة. ثم جاء فشل روبرت بورك فى الحصول على تصديق بتعيينه قاضيًا للمحكمة العليا، على الرغم من التأييد القوى من جانب اليمين المسيحى الجديد، ثم فضيحة إيران ـ كونترا ـ مما تسبب فى تآكل الصلة

بشكل أكبر، ولم يمنح ريجان العفو لأوليفر نورث الذى طالب به مؤيدوه من اليمين المسيحى الجديد. ولم يساند ريجان محاولة اليمين المسيحى الجديد لمنع الكونجرس من وقف الإعفاء الضريبى المقرر لكلية جروف سيتى بولاية بنسلفانيا بسبب سياساتها العنصرية. وجاء فشل ترشيح پات روبرتسون للرئاسة كضربة أخرى (چورستاد ١٩٩٠).

تطور اليمين المسيحى الجديد

وماذا عن اليمين المسيحى الآن؟ يصف مقال حديث أربع مراحل لتطور اليمين المسيحى الجديد (موين ١٩٩٦)، وفرضية موين ترتكز على أنه وحتى مع تشكيل اليمين المسيحى الجديد للسياسة، فإن مطالب الحياة السياسية قد شكلته، فكانت فترة التوسع من السبعينيات وحتى ١٩٨٤ وتميزت بالنمو الثابت فى عدد الأعضاء والمنظمات، وكذلك الاعتماد على جمع التبرعات بالبريد المباشر، ثم فترة مرحلة انتقالية قصيرة من ١٩٨٥ إلى ١٩٨٦ اتسمت بخفض النفقات، وعلى الرغم مما بدا كانحسار فى فاعلية اليمين المسيحى الجديد فى هذه الفترة، كان قادته يعملون من أجل المرحلة الأساسية التالية.

يسمى موين هذه المرحلة بـ«المرحلة المؤسساتية» من ١٩٨٧ إلى ١٩٩٤، وقد تميزت هذه المرحلة بالتواجد المستمر لمنظمات مستقرة لها مواقع تمكنها من تحقيق أهدافها، وكانت أوضاعها المالية أكثر استقراراً وأقل اعتماداً على جمع التبرعات بالبريد المباشر، ووصلت منظمات عديدة إلى مرحلة النضج، فأصبحت منظمات أصلية ذات عضوية مثل «السيدات المهتمات بأمريكا» و«التركيز على الأسرة» فكان لها قوائم عضوية واجتماعات منتظمة وواجبات ومزايا للأعضاء. وتنوعت التوجهات اللاهوتية داخل اليمين المسيحى الجديد، وأكثر من هذا، فقد اكتسب الحنكة السياسية وتعلم قولبة القضايا فى شكل يجتذب التأييد الشعبى وأخيراً استجمع قواه على مستوى القاعدة العريضة.

أما المرحلة الحالية لتطوره، فهى مرحلة الانحدار، وهى التى بدأت مع الكونجرس رقم ١٠٤ عام ٩٥/ ٩٦ وهى تتشابه فى أوجه كثيرة مع المرحلة السابقة باستثناء تحول جوهر العمل من المستوى القومى إلى مستوى الولايات، وبدا الحل الوسط ضرورياً ومقبولاً

بشكل متزايد بشأن قضايا معينة. إن التركيز الجمهورى على كبح جماح سلطة الحكومة الفيدرالية لصالح سلطة الولايات والحكومات المحلية يتوافق بشكل جيد مع معتقدات اليمين المسيحى الجديد بأن «الحكومة الكبيرة» تتسبب فى الأذى للأسر بينما تساعدهم الحكومة القريبة منهم (موين ١٩٩٥). ولهذا تتلاقى اهتمامات الجمهوريين واليمين المسيحى الجديد.

ويلخص موين (١٩٩٤ : ٣٥٣) اليمين المسيحى الجديد فى وقتنا الحاضر كما يلى:

«يتكون اليمين المسيحى الجديد الآن من منظمات مختلفة راسخة ذات عضوية، يستخدم قادتها لغة العصر وينظمون الأتباع على مستوى القاعدة. إن الحملة القوية لربط الدين بالحكومة حل محلها جهد هادئ لحشد المواطنين المتعاطفين وكسب الانتخابات، لقد واءَم اليمين المسيحى نفسه مع الممارسات التقليدية للسياسة الأمريكية».

وما لم يتغير هو تأييد اليمين المسيحى الجديد للقضايا التى تحددت فى العقود السابقة لتواجده، فهو يؤيد بثبات ما يلى:

- **عودة القيم التقليدية**، بما فى ذلك البناء التقليدى للأسرة، والدور الواضح لكل من الرجل والمرأة، والقيود على الإجهاض، والحدود على حقوق الشواذ، وضرورة رعاية المسنين فى منازلهم، وتقيد التدخل الحكومى فى كيفية تنشئة الأبناء.
- **قضايا التعليم**: تأييد إقامة الصلاة والعبادة فى المدارس العامة، تعليم علوم الخلق [طبقًا لرواية الكتاب المقدس]، وإلغاء تدريس أنماط الحياة غير التقليدية، وتأسيس شبكة للمدارس المسيحية لا تخضع للنظم الحكومية.
- **القضايا العسكرية**: تأييد وضع الولايات المتحدة كالقوة العسكرية العظمى الأولى فى العالم.
- **القضايا الاقتصادية**: تدخل حكومى أقل فى تنظيم الأعمال والصناعة، ونقل المسئولية عن الرفاهة من الحكومة الفيدرالية إلى القطاع الخاص، وفرض حدود صارمة على منافع الرفاهة.

- **قضايا الجريمة**: موقف صارم من القانون والنظام.
- **الأهداف السياسية المباشرة**: ممارسة الضغط السياسى وتسجيل الناخبين وتمويل المرشحين ممن تتوافق أولوياتهم معهم، والتأكد من توافر المعلومات عن سجلات تصويت شاغلى المناصب فى الكونجرس (كوربت ١٩٩٧).

وعلى الرغم من تحول اهتمامهم بشكل ملحوظ إلى مستوى الولايات والسياسة المحلية، فهم لا يزالون على نشاطهم على المستوى القومى أيضًا، فهم مهتمون بإصدار التعديلات الدستورية التى تحمى قدسية العلم الأمريكى، فهم يرغبون فى تشريع على المستوى القومى يسمح بإقامة الصلوات التى يقودها الطلبة فى المدارس العامة وتقديم المعونة للآباء لإرسال الأبناء إلى المدارس الخاصة.

اليمين المسيحى الجديد والإرث البيوريتانى

نظرًا للمكانة التى يحتلها اليمين المسيحى الجديد فى الحياة السياسية بالولايات المتحدة، فإنه من المفيد المقارنة بينه وبين منهاج التطهريين (كوربت ١٩٨٨) الذين اتسمت آراؤهم بالأهمية فى الفترة الاستعمارية والأيام الأولى لتأسيس الدولة (انظر الفصل الأول)، وهناك تشابهات عدة:

- **هناك تشابه فى الأهداف، فكلاهما يرنو إلى الولايات المتحدة كدولة تمتثل لقوانين ومشيئة الرب كما يفهمونها.**
- **ويجب أن تتوافق الأخلاقيات الخاصة والعامة مع تعاليم الكتاب المقدس الذى يفسر بشكل محافظ.**
- **يرغب كلاهما فى استخدام العملية التشريعية لضمان توافق القانون المدنى مع القانون الدينى وتطبيقه على المؤمنين وغير المؤمنين.**
- **يرى كلاهما أن المدارس العامة تأتى بعد البيت والكنيسة كعنصر أساسى فى تدريب الأبناء وفق معتقداتهم.**
- **تضرب هذه الأهداف بجذورها فى فهمهم للاهوت بشكل متشابه إلى حد بعيد، فهناك حقيقة واحدة مطلقة أوحى بها الرب للبشر - الرب المتصف بالقوة والملك - فالبشر مخطئون وضائعون بدون الرب، والولايات المتحدة أمة الرب المختارة لتكون مثالاً للحياة الورعة فى الدنيا.**

* المحافظون والعمل الاجتماعى

اتسم المجتمع المسيحى المحافظ بداية من السبعينيات بالتنوع المتزايد، وكان أحد نتائج هذا التنوع زيادة فى الأفراد والجماعات الذين جمعوا بين التدين المحافظ والتقدمية السياسية. ويصف «الإنجيليون من أجل العمل الاجتماعى» وجهة نظرهم وهى أن «المسيحى المخلص هو من يخدم الفقراء ممن لا حول لهم ولا قوة، ويحترم الحياة، ويعتنى ويقر بإيمانه القوى بعيسى المسيح». وكانت الصلة الأكيدة المسلم بها - حتى الآن - بين الدين المحافظ والرؤى الاجتماعية المحافظة والسياسية محل خلاف بين صفوف الدين المحافظ نفسه. وهذا التطور ينطوى أيضًا على الاهتمامات الخاصة بالإصلاح الاجتماعى الواسع فى أواخر القرن العشرين، كما أوضحنا فى الفصل الثالث.

التقدميون الاجتماعيون المحافظون دينيًا

المواقف تجاه القضايا

إن منظمتى «الإنجيليون من أجل العمل الاجتماعى» و«الخبز للعالم» هما منظمتان تمثلان هذا الاتجاه، وقدم استطلاع حديث للآراء حول عضويتهما تصورًا لمواقف الجماعات والأفراد الذين يجمعون بين المحافظة الدينية والتقدمية الاجتماعية بالنسبة للقضايا (سميدت وآخرون - ١٩٩٤). اتفقت الأغلبية التى اشتركت فى الاستطلاع من هاتين المنظمتين مع الآراء التالية:

- الحد من المجاعة العالمية من الأولويات، حتى إن عنى هذا زيادة الضرائب.
- يجب على الحكومة معاونة المعوزين حتى إن أدى هذا إلى زيادة الضرائب.
- يجب وضع برنامج تأمين صحى قومى.
- يجب حماية البيئة، حتى لو أدى هذا إلى زيادة الضرائب والتضحية ببعض الوظائف.

واتفقت الأغلبية من أعضاء منظمة «الخبز للعالم» على أن الولايات المتحدة فى حاجة إلى «تعديل الحقوق المتساوية»، وقد وافق على هذا ٤٥٪ من أعضاء منظمة «الإنجيليون من أجل العمل الاجتماعى» واتفقت الأغلبية فى المنظمتين على أنه:

- يجب أن تحظر الحكومات المحلية بيع المواد الإباحية .
- يجب السماح للشواذ بالتدريس فى المدارس العامة .
- يجب توفير المعلومات الخاصة بوسائل منع الحمل فى المدارس العامة .
- عقوبة الإعدام، خطأ من الناحية الأخلاقية .

وهم يؤيدون بشدة ـ مثل نظرائهم المحافظين اجتماعيّا وسياسيّا فى اليمين المسيحى الجديد ـ دور الصلاة والاعتماد على هداية الروح القدس فى اتخاذ قرارات العمل الاجتماعى (سيدر ـ ١٩٩٠)، وأثرت العوامل الدينية بشكل قوى فى الجماعتين . وعلى عكس نظرائهم فى اليمين المسيحى الجديد، فهم يعتقدون أن الحكومة تستطيع، بل ويتعين عليها، أن تلعب دورًا محوريًا فى تحقيق مجتمع يسوده العدل ومزيد من المساواة الاقتصادية .

وتضع كل من الجماعتين رفع المستويات الأخلاقية على رأس قائمة أولوياتها، فقد ركز التقدميون على الأخلاقيات الاجتماعية بينما ركز نظراؤهم فى اليمين المسيحى الجديد على الأبعاد الشخصية للأخلاقيات . وكلاهما يشترك فى الاعتقاد بوجود معان سياسية ضمنية واضحة فى الرسالة الإنجيلية، إلا أنهم يختلفون بشدة حول طبيعة هذه المعانى، فيرى اليمين تلك المعانى السياسية تتمثل فى بناء مجتمع أخلاقى يركز على الرؤى المحافظة فيما يتعلق بالأسرة والنوع والجنس، أما الموقف التقدمى فيراها متمثلة فى الوقوف بقوة إلى جانب المظلومين والمحرومين اجتماعيّا ضد الأنظمة السياسية والاجتماعية التى تضطهدهم داخليًا وخارجيًا .

التلفاز المسيحى

نحن لسنا بصدد تتبع تاريخى تفصيلى للبث الدينى، فقد أنجز هذا آخرون (أريكسون ١٩٩٢، وبيك ١٩٩٣) ومع ذلك نرغب فى دراسة الانخراط المسيحى المحافظ المعاصر فى التلفاز من منظور تاريخى أبعد مدى .

تحول مهم منذ ١٩٦٠ فصاعدًا

غير قرار حكومى مهم فى عام ١٩٦٠ من شكل البرامج الدينية تمامًا، فقد أصدرت

لجنة الاتصالات الفيدرالية قراراً بأنه لا يتعين على محطات التلفاز تقديم بثٍّ مجانيّ من أجل الصالح العام، كما أعفت اللجنة البرامج الدينية من «نظرية العدل» التى كانت تتطلب تخصيص وقت متكافئ لعرض وجهات النظر المختلفة، وألغت القيود السابقة على جمع المساهمات (بك ـ ١٩٩٣) وجعل هذا من البرامج الدينية سلعة للتسويق والمنافسة الاقتصادية، كما وفر مزية هائلة للأفراد والجماعات التى تستطيع حشد الدعم المادى الكبير لجهودها.

لقد تغير وجه البرامج الدينية نتيجة لتطور تلفاز الكابل ومحطات UHF فى السبعينيات، والتطور السريع للبث بالأقمار الصناعية فى الثمانينيات والتسعينيات، بالإضافة إلى عوامل أخرى، فبحلول التسعينيات كانت الأغلبية العظمى من البث الدينى تقدمها جماعات مسيحية محافظة تعرض اهتماماتها ومشاهير الدعاة (الوعاظ).

الدين المحافظ والتكنولوجيا الحديثة: شراكة طبيعية

وهناك أسباب أخرى لسيطرة المنظور المحافظ على التلفاز المسيحى، فالتاريخ المسيحى البروتستانتى يعج بأمثلة حماس المحافظين لامتطاء جواد التكنولوجيا لتوصيل رسالتهم بشكل فعال وكفء. ويمكن القول إن هذا الاتجاه يرجع إلى المصلح البروتستانتى العظيم مارتن لوثر (انظر المقدمة) الذى استخدم وسائل الطباعة الحديثة فى طبع كتيبات دعائية دينية وأناجيل، بسرعة وبتكلفة أقل من ذى قبل. ولأن الهداية إلى الرب كانت دائمًا أساس اهتمام المحافظين، فقد كان المسيحيون المحافظون على استعداد دائم لاستخدام اكتشافات الطباعة الحديثة والمذياع والتلفاز وتكنولوجيا الأقمار الصناعية، وحاليًا شبكة الإنترنت لتحقيق أهدافهم.

ويمكن رؤية التلفاز المسيحى كامتداد لأسلوب الإحياء فى الممارسة المحافظة للدين، وينصهر كل من الأساس اللاهوتى وأسلوب «الصحوة الكبرى» (الفصل الأول) والصحوة الثانية وحركة الإحياء الحضرى مع الفروض والقيود التى يفرضها التلفاز كوسيلة تواصل.

ويتضح هذا الانصهار ـ على سبيل المثال ـ فى إذاعة حملة أورال روبرت وبيلى جراهام، كما يتضح فى الأسلوب التلفازى للقس چيمى سواجارت وآخرين ممن هم

أقل شهرة. وما يقوم به سواجارت أمام الأعداد الغفيرة من مشاهدى التلفاز، لا يختلف البتة عما فعله إيفانجليكيو الصحوتين أمام جموع أقل. ومن الناحية الأخرى، فالبرامج الحوارية مثل برنامج نادى ٧٠٠ وكثير من البرامج الأخرى ـ يعكس درجة أكبر من تكيف الدين مع التلفاز.

التلفاز المسيحى بإيجاز

استرشادًا بشولتز (١٩٩١)، يمكن تلخيص أهم سمات التلفاز المسيحى على النحو التالى:

- هو تلفاز يؤيده المشاهدون ويعتمد عليهم ماليًا، وهو يجب أن يدخل البهجة إلى قلوبهم مما قد يؤدى إلى الإضرار بمصداقية الرسالة ومن يقدمها.
- يرتكز التلفاز المسيحى على الشخصيات القوية لزعمائه أكثر مما يحدث فى أنماط أخرى من المنظمات الدينية، ولهذا يصبح من الصعب الفصل بين الرسالة ومن يقدمها، وهذا يعكس ولع الثقافة بالنجوم والمشاهير.
- مثله مثل الكثير من الثقافة الأمريكية، يعتمد التلفاز المسيحى على الممارسة فى اكتساب شرعيته، وهو بهذا يعكس الميل الثقافى الأمريكى لربط الحقيقة بالممارسة.
- زاد التعقيد التكنولوچى للتلفاز المسيحى مع تطوره، فقد كان دائمًا سباقًا إلى استخدام ـ وأحيانًا تطوير ـ تكنولوچيا بث أقوى وأحدث.
- أصبح التلفاز المسيحى يجمع بين الترفيه والدين من أجل اجتذاب المشاهدين، واتبع واستخدم الأنماط التى أثبتت نجاحًا فى التلفاز العلمانى، وتحول دعاة التلفاز الدينى إلى مذيعين.
- وفى النهاية، اتجه التلفاز لأن يكون جزءًا من مجموعة مؤسسات لها أهداف متشابهة ذات توجه إنمائى، وأصبحت البرامج وسيلة جمع تبرعات لمشروعات أخرى. إن التوسع فى إمبراطورية چيرى فالويل الإعلامية والتعليمية هو مثل واضح على ذلك، فقد بدأ من مجرد برنامج تلفازى يبث من كنيسة عادية، فأصبح يبث من استوديو ذى تقنية عالية، كما أصبح جامعة وبرنامج تعليم مستمرًا وكلية للحقوق.

ما معنى هذه الظاهرة لنا؟ أشرنا آنفًا فى هذا الفصل إلى مفهوم اليمين المسيحى الجديد بوجود طبقة الصفوة التى تشمل وسائل الإعلام، وتبتعد بشكل خطير عن القيم الأخلاقية لمعظم الأمريكيين. ومن المؤكد أن مشاهدى التلفاز المسيحى يجدون شيئا واحدًا، هو برامج الترفيه والمعلومات التى تعكس قيمهم، ولا يجدون تلك البرامج التى تعرضها الشبكات التجارية. ويتضح هذا على وجه التحديد فى البرامج الدينية وإعادة عرض المسلسلات التى تهم الأسرة والتى تمثل جزءًا رئيسيًا فى البرامج المحافظة.

وكما يوضح أحد محللى التلفاز المسيحى، فإن المحافظة ليست جماعة ضغط أو حركة اجتماعية، وإنما توجه دينى نحو الحياة (بك ١٩٩٣). وكما أوضحنا عند تعريفنا للدين، فإن الأديان تساعد فى إضفاء معنى على حياة الناس، والتلفاز المسيحى هو أحد سبل توصيل ونشر هذه المعانى الدينية على وجه الخصوص. ولابد من هذا التوصيل والنشر لاستمرار العقيدة (بك ١٩٩٣). ويقوم التلفاز المسيحى بهذه المهمة ويصل إلى جمهور كبير وبأشكال متعددة، بغض النظر عن الاعتبارات الجغرافية.

مع انتقال الاتجاه المسيحى المحافظ من الهامش إلى المركز بالنسبة للثقافة الأمريكية، سهل التلفاز المسيحى هذا الانتقال وعكسه، فالتلفاز يحتل جزءًا مركزيًا فى حياتنا وثقافتنا، وأغلبية المنازل لديها جهاز على الأقل والعديد يملكون أكثر من جهاز. ويقضى الكبار والأطفال ساعات طويلة على مدار الأسبوع أمام شاشته، ويرتبط العديد من المشاهدين بشخصياته كما لو كانوا يعرفونهم حق المعرفة. وأصبح التلفاز وسيلة - بل ربما الوسيلة الرئيسية - التى يحصل منها الناس على معلومات تخص عالمهم. كما أصبحت له وظيفة تشريعية، فالناس يصدقون ما يرونه على الشاشة، وهذا يجعله الوسيلة المثلى لبث الاتجاه الدينى المحافظ فى الثقافة ويجعل منه أيضًا وسيلة أساسية لتوضيح هذه الهيمنة المتزايدة.

لقد أشارت الدراسات - بوجه متكرر - إلى أن معظم مشاهدى التلفاز المسيحى يتفقون مع الآراء المعروضة على شاشته، ومن ثم فهو يعتبر وسيلة جيدة لإقناع

الآخرين برؤى اليمين المسيحى الجديد. وما يحققه بنجاح هو تقديم فيض مستمر من المعلومات، وتشجيع الناس على قبول رؤاه. وقد أثبت أيضًا أنه وسيلة فعالة لجمع التبرعات للجماعات العاملة معه (كوربت ١٩٩٧)، كما كان عاملاً أساسيًا فى جعل الدين المحافظ جزءًا من الثقافة الشعبية الأمريكية التى يدعمها التلفاز.

ولكثير من الأسباب المذكورة آنفًا، يعتبر التلفاز المسيحى أداة مهمة لتوصيل خطة العمل السياسى الاجتماعى لليمين المسيحى الجديد إلى جمهور المشاهدين، وهو بهذا يسهم فى تحويلهم إلى مشاركين فى العمل الاجتماعى (بك ١٩٩٣ : ١٠٨)، فهم يُدلون بأصواتهم ويتصلون هاتفيًا بممثليهم فى الكونجرس ويحاولون إقناع الجيران بالقضايا، ولذا فهو عنصر مهم فى التقاء الدين بالسياسة.

التلفاز الدينى: المشاهير والسياسة

عرض الكثير من الدعاة بالتلفاز والإيڤانجليكيين فى برامجهم رسائل ووجهات نظر سياسية، ومع هذا تعتبر لجنة الاتصالات الفيدرالية هذه البرامج بثًا دينيًا. ومن ثم فهم يعفون من متطلب العرض العادل لوجهتى النظر، كما هو الحال فى البرامج السياسية (چونستون ١٩٨٦). وهذا يعنى أنه إذا وجدت لديهم الرغبة، فهم يقدمون القضية من وجهة نظرهم فقط. وعلى الرغم من محاولة بعض البرامج تحقيق التوازن، فالأغلبية لا تفعل ذلك. وبهذه الطريقة فهم يمثلون سمة مهمة من سمات ارتباط الدين بالسياسة فى الولايات المتحدة.

ووفقًا لرأى أحد مراقبى الإعلام الدينى، فقد حدث خلال السنوات الأخيرة تغيرٌ ملحوظٌ فى اتجاه الدعاة المشهورين بالتلفاز، وقد يعد هذا التحول ابتعادًا جزئيًا عن الاهتمامات السياسية فى صناعة التلفاز الدينى، والشخصيات التليفزيونية الإيڤانجليكية التى تبدو ناجحة، هى تلك التى تركز برامجها على العلاج الروحانى والخبرات الدينية. والهدف الآخر لكثير من البرامج، هو أن درجة كافية من الإيمان تحقق الرفاهة والشفاء العضوى (جورستاد ١٩٩٣). ومن السابق لأوانه القول بأن هذا التحول، هو بداية اتجاه طويل الأمد، أو انحراف طفيف يتبعه عودة إلى بث سياسى مباشر بدرجة أكبر.

* الملخص والنتائج

كان لعقد الستينيات أهمية كبرى بالنسبة للعلاقة بين الدين والسياسة فى الولايات المتحدة. فقد وضعت هذه العلاقة خطة العمل التى استمرت حتى التسعينيات، كما استمرت بعض الجماعات والاتجاهات الرئيسية التى ظهرت فى الستينيات، بينما ظهرت جماعات واتجاهات أخرى استجابة أو تعديلاً لهم. فرأينا كيف كان الدين موثرًا بالنسبة للسود والبيض فى حركة الحقوق المدنية، وكيف تأثرت الحركة به تأثرًا عميقًا. وقد أدت التحولات الثقافية إلى ظهور اليمين السياسى الدينى، كما أدت التحولات داخله إلى ظهور تقدمية اجتماعية محافظة جديدة. إن القضايا التى ناقشها هذا الفصل يمكن التنبؤ باستمرارها فى المستقبل.

رأينا أيضًا كيف انعكست قضايا هذه الفترة على مصالح جماعات الضغط الدينية على المستوى القومى، وسنرى فى الباب الأول من الجزء الثانى: «الدين والرأى العام»، كيف تؤثر هذه القضايا فى الأمريكيين السود والبيض.

ما النتائج التى نستخلصها من دراسة العلاقة بين الدين والسياسة فى العقود الأخيرة من القرن؟ يقدم هذا الفصل توثيقًا قويًا لثلاث نتائج أساسية:

- **شهدت هذه الفترة أكبر تنوع للأصوات التى أرادت أن تُسْمَع وتجعل خطة عملها محل النقاش القومى، مما أدى إلى ما قد يبدو كتشوش فى وجهات النظر من ناحية. إلا أنه أدى من ناحية أخرى إلى بناء ائتلاف متزايد بين الجماعات الدينية بعضها البعض، وبينها وبين الأحزاب السياسية، ويمكننا أن نتوقع لهذا النمط أن يستمر.**
- **وهناك نتيجة حتمية ثانية ألا وهى مرونة وقدرة المنظور المحافظ فى الولايات المتحدة على التكيف، فقد مثل جزءًا من الرؤية الدينية الأمريكية منذ الفترة الاستعمارية، ويبدو أنه يحتل موقعًا جيدًا يؤهله للاستمرار فى القيام بدور بارز فى الربط بين السياسة والدين فى القرن القادم.**
- **يبدو لنا أن النتيجة الثالثة تنبثق عن الثانية، فاهتمامات المحافظين المتدينين سوف تستمر على تأثيرها، وهناك احتمال أن يتزايد هذا التأثير على الحياة العامة الأمريكية**

مع دخولنا الألفية القادمة، ويتضح هذا فى قرار المحكمة العليا للولايات المتحدة فى دعوى (أجوستينو ضد فلتون ـ ١٩٩٧) الذى يناقش فى الفصل الخامس.

من المحتم أن تتصارع وجهات النظر فى مناخ التعددية والتنوع الموجود حاليًا فى المنظور السياسى والمنظور الدينى فى الولايات المتحدة، وهذا هو السبب فى أهمية العلاقة القانونية بين السياسة والدين فى الولايات المتحدة، والتى نطرحها فى الفصلين الخامس والسادس.

* * *

obeikandl.com

References

Cohen, Steven M. 1983. *American Modernity and Jewish Identity*. New York: Tavistock.

Cooney, John. 1984. *The American Pope*. New York: Times Books.

Corbett, Julia Mitchell. 1988. "The New Puritanism: We Must Say 'No' Again." *The Humanist* 48 (No. 5): 19–23, 48.

Corbett, Julia Mitchell. 1997. *Religion in America, Third Edition*. Upper Saddle River, New Jersey: Prentice Hall.

Curran, Charles E. 1982. *American Catholic Social Ethics: Twentieth Century Approaches*. Notre Dame, Indiana: University of Notre Dame Press.

Erickson, Hal. 1992. *Religious Radio and Television in the United states, 1921–1991: The Programs and Personalities*. Jefferson, North Carolina: McFarland and Company.

Fisher, Alan M. 1989. "Where the Jewish Vote Is Going." *Moment* 14: 41–43.

Fowler, Robert Booth. 1985. *Religion and Politics in America*. ATLA Monograph Series No. 21. Metuchen, New Jersey: American Theological Library Association and Scarecrow Press.

Frazier, E. Franklin, and C. Eric Lincoln. 1974. *The Negro Church in America* and *The Black Church Since Frazier*. New York: Schocken Books.

Fuchs, Lawrence. 1956. *The Political Behavior of American Jews*. Glencoe, Illinois: Free Press.

Hanna, Mary T. 1979. *Catholics and American Politics*. Cambridge, Massachusetts: Harvard University Press.

Hertzke, Allen D. 1988. *Representing God in Washington: The Role of Religious Lobbies in the American Polity*. Knoxville: University of Tennessee Press.

Johnston, Michael. 1982. "The 'New Christian Right' in American Politics." *Political Quarterly* 53: 181–199.

Johnstone, Ronald L. 1969. "Negro Preachers Take Sides," *Review of Religious Research* 11: 81–89.

Jorstad, Erling. 1990. *Holding Fast/Pressing On: Religion in America in the 1980s*. New York: Praeger.

Jorstad, Erling. 1993. "New Generation of Preachers Guiding Televangelism in the 1990s." *Religion Watch* 9 (No. 1): 3–4.

Lazerwitz, Bernard, J. Allen Winter, and Arnold Dashefsky, 1988. "Localism, Religiosity, Orthodoxy and Liberalism: The Case of Jews in the United States." *Social Forces* 67: 229–242.

Liebman, Charles S., and Steven M. Cohen. 1990. *Two Worlds of Judaism: The Israeli and American Experiences*. New Haven: Yale University Press.

Lipset, Seymour Martin. 1964. "Three Decades of the Radical Right: Coughlinites, McCarthyites, and Birchers," Pp. 373–446 in Daniel Bell (Ed.), *The Radical Right*. Garden City, New York: Doubleday Anchor.

Marx, Gary. 1969. "Religion: Opiate or Inspiration of Civil Rights Militancy Among Negroes." *American Sociological Review* 32: 64–72.

Moen, Matthew C. 1994. "From Revolution to Evolution: The Changing Nature of the Christian Right." *Sociology of Religion* 55: 345–357.

Moen, Matthew C. 1995. "The Fourth Wave of the Evangelical Tide: Religious Conservatives in the Aftermath of the 1994 Elections." *Contention* 5: 19–38.

Moen, Matthew C. 1996. "Evolving Politics of the Christian Right." *Political Science and Politics* XXIX: 461–464.

O'Brien, David J. 1968. *American Catholics and Social Reform: The New Deal Years*. New York: Oxford University Press.

Paris, Peter J. 1985. *The Social Teachings of the Black Churches*. Philadelphia: Fortress Press.

Peck, Janice. 1993. *The Gods of Televangelism: The Crisis of Meaning and he Appeal of Religious Television*. Cresskill, New Jersey: Hampton Press.

Penn, Mark J., and Douglas E. Schoen. 1988. "Prospects for the Jewish Vote in 1988." *Election Politics* 5: 24–26.

Piehl, Mel. 1982. *Breaking Bread: The Catholic Worker and the Origins of Catholic Radicalism in America*. Philadelphia: Temple University Press.

Schultze, Quentin J. 1991. *Televangelism and American Culture: The Business of Popular Religion*. Grand Rapids, Michigan: Baker Book House.

Sider, Ron. 1990. *Rich Christians in an Age of Hunger*. Dallas: Word Publishing.

Sklare, Marshall, and Joseph Greenblum. 1967. *Jewish Identity on the Suburban Frontier*. New York: Basic Books.

Smidt, Corwin, Lyman Kellstedt, John Green, and James Guth. 1994. "The Characteristics of Christian Political Activists: An Interest Group Analysis." Pp. 133–171 in William R. Stevenson, Jr. (Ed.). *Christian Political Activism at the Crossroads*. Lanham, Maryland: University Press of America.

Woocher, Jonathan S. 1986. *Sacred Survival: The Civil Religion of American Jews*. Bloomington: Indiana University Press.

Wuthnow, Robert. 1988. *The Restructuring of American Religion: Society and Faith Since World War II*. Princeton: Princeton University Press.